

من صور التعصب المذموم

قال ابن الجوزي (٥٩٧) في كتابه «السر المصون»: «رأيت جماعة من المنتسبين إلى العلم يعملون عمل العوام، فإذا صلى الحنبلي في مسجد شافعي ولم يجهر؛ غضبت الشافعية، وإذا صلى شافعي في مسجد حنبلي وجهر؛ غضبت الحنابلة، وهذه مسألة اجتهدية، والعصبية فيها مجرد هوى يمنع منه العلم.

قال ابن عقيل: رأيت الناس لا يعصمهم من الظلم إلا العجز، ولا أقول العوام بل العلماء كانت أيدي الحنابلة مبسوطة في أيام (ابن يوسف) فكانوا يتسلطون بالبغي على أصحاب الشافعي في الفروع حتى لا يمكنهم من الجهر والقنوت وهي مسألة اجتهدية، فلما جاءت أيام (النظام) ومات (ابن يوسف) وزالت شوكة الحنابلة استطال عليهم أصحاب الشافعي استطالة السلاطين الظلمة فاستعدوا بالسجن وآذوا العوام بالسعايات، والفقهاء بالنبز بالتجسيم.

قال: فتدبرت أمر الفريقين فإذا بهم لم تعمل فيهم آداب العلم، وهل هذه الأفعال إلا أفعال الأجناد يصولون في دولتهم ويلزمون المساجد في بطالتهم. انتهى ما ذكره ابن الجوزي

ولما استقر انتقاله [أي أبو المظفر السمعاني (٤٨٩)] إلى مذهب الشافعي وانفصاله عن الرأي النعماني: قامت الحرب على ساق، واضطربت بين الفريقين نيران فتنة كادت تملأ ما بين خراسان والعراق، واضطرب أهل مرو لذلك اضطراباً، وفتح المخالفون للمشاقة أبواباً، وتعلق أهل الرأي بأهل الحديث،

وساروا إلى باب السلطان السير الحثيث، ولم يرجعوا إلى ذوي الرأي والنهي ولا وقفوا عند مقالة من أمر ونهى والشيخ أبو المظفر ثابت على رجوعه غير ملتفت حتى هجره لذلك أخوه أبو القاسم فزجره وكتب إليه: كيف خالفت مذهب الوالد؟ ... وكان رجوع أبي المظفر عن مذهب أبي حنيفة في دار ولي البلد (ملكانك) بحضور أئمة الفريقين في شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وأربع مئة، واضطرب أهل مرو وأدى الأمر إلى تشويش العوام والخصومة بين أهل المذهبين وأغلق باب الجامع الأقدم وترك الشافعية الجمعة إلى أن وردت الكتب من جهة (ملكانك) من بلخ في شأنه والتشديد عليه فخرج عن مرو ليلة الجمعة أول ليلة من شهر رمضان سنة ثمان وستين وأربع مئة، وصحبة الشيخ الأجل ذو المجدين أبو القاسم الموسوي وطائفة من الأصحاب، وسار إلى طوس، ثم قصد نيسابور واستقبلوه استقبالا عظيماً حسناً فأكرموا مورده، وأنزلوه في عز وحشمة، وعقد له مجلس التذكير وكان بحرًا فيه حافظًا لكثير من الحكايات والنكت والأشعار، فظهر له القبول عند الخاص والعام واستحكم أمره في مذهب الشافعي، ثم عاد إلى مرو وعقد له مجلس التدريس في مدرسة أصحاب الشافعي والتذكير وعلا شأنه.

المصدر: الفروع لابن مفلح، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي

